



كلام اليوم: اليمن.. وعقدة التشبّه بصدام
التاريخ: Sunday, September 06
اسم الصفحة: الصفحة الاولى

تستمر المعارك في اليمن.. ومعها يستمر العرب بالصمت إزاء ما يحدث في اليمن. لم يتداع إلى اليمن التي هي مستوطنة الفقر المرمية أسفل واحة الرفاه الخليجي أي من العرب الراضين بما يحدث هناك.

نعم.. العرب صامتون، بل راضون عما يحدث في اليمن التي ترسل سلطاتها رسائل مستمرة إلى محيطها العربي عن الطبيعة المذهبية للصراع، وهي طبيعة كان صدام قد استثمرها، كاسباً بها صمت ودعم وتحريض العرب ضد العراقيين.

فقبل اليمن، كان العرب قد صمتوا طويلاً على الحروب التي كان قد شنها النظام الدكتاتوري في العراق على الشعب في الجنوب وفي كردستان وفي الرمادي.

وقبل اليمن أيضاً، وبعد العراق، اختار العرب الصمت في مواجهة اعتداءات السلطة السودانية في دارفور.

لكن العرب الصامتين على اعتداءات طغاتهم والقابليين بها ضد أبناء جلدتهم ارتفعت عقيرتهم للدفاع عن سلطة دكتاتور العراق المنهارة وترتفع الآن خوفاً على سلطة طاغية السودان المهدة بالإنهييار.. وستعود لتزعق بعد حين عند ما يتقوض استبداد الدكتاتور اليمني الذي بدأ يسرع بعوامل زواله واختفائه من نادي الطغاة العرب.

والذي يحدث هناك هو أن دكتاتوراً صغيراً صنعه صدام على مقاساته، ما زال مفتوناً بصورة صانعه وساعياً إلى إعادة إنتاجه، سلوكاً وتفكيراً وأخلاقاً، ولكن بشكل كاريكاتيري.. ولعل الكثير من الكاريكاتير يدعو إلى الرثاء أكثر مما يدعو إلى الضحك.

إنها عقدة إعادة إنتاج الأب.. عقدة التشبّه بصدام.

لقد اختلق الرئيس علي صالح نموذجاً مشوها للديمقراطية لا يبتعد كثيراً عن النموذج المسخ الذي ابتكره الدكتاتور العراقي.. ولكن القبضة الفولاذية للأخير هي غير القبضة المرتعشة لطاغية اليمن الذي لم يجد، من قبل، حرجاً في الإستعانة بخبرة وإمكانات مثاله العراقي لفرض الوحدة اليمنية بقوة النار والحديد الصدامي.. وبهذا السلوك كان صالح قد زرع أولى بذور انهياره المتوقع.

نموذج الديمقراطية اليمني المشوه كان يسمح، في جانب من فوائده العرضية غير المحسوبة من قبل النظام، بنمو وعي سياسي عادةً ما ينمو في المجتمعات الفقيرة، كاليمن، ليأخذ اتجاهات مختلفة محكومة بالظرف التاريخي وعوامل المحيط وبصعود وهبوط القوى المستثمرة للمعارضة والاحتجاج والمنظمة لها.

في هذه الظروف، أخذ الوعي المذهبي للحوثيين بإعادة التشكل.. وهو وعي انتعش ونضج مع الطبيعة القبلية المذهبية لنظام الحكم اليمني، ومع الشعور المتنامي بالإقصاء والتهميش، وبالحاجة إلى حقوق مذهبية وقبلية في بيئة شكلتها السلطة هكذا.. على أسس مذهبية وقبلية.

وكان الغريب في مثل هذه الظروف أن يستمر الرئيس صالح بافتتانه بتجربة صدام في قمع الإحتجاج المذهبي والقومي، ليعمد إلى استعراض قواته الجوية والبرية وباستخدام مفرط للقوة في معركة غير متكافئة مع مجموعات قبلية مسلحة، وليعبر عن شدة افتتانه بصدام واستخدامه له حين يلجأ إلى توظيف خبرات الجنرالات العراقيين العسكريين والمخابراتيين والسياسيين الذين (استضافتهم) اليمن لمثل هذه الساعة وفي المعارك الدائرة هناك بين سلطة قامعة وشعب مقموع، من دون أن يفكر الرئيس بالمال الذي انتهت إليه خبرات الجنرالات المستخدمين.

ولم يكتفِ صالح بهذا التشبّه بصدام وباستخدام أدواته..وانما عمد أخيراً إلى نقل الفتنة إلى القاع الاجتماعي القبلي في اليمن، وهو يورط أبناء قبائل أخرى في الصراع، ليشكل منها (الجيش الشعبي - لاحظوا التسمية) الذي يُستخدَم فيه مواطنون لضرب مواطنين آخرين وعلى أساس قبلي ومذهبي يختزن معه شرخاً اجتماعياً، يبدو أن النظام يسعى إلى تعميقه مستثمراً الهوية القبلية المذهبية، وإن كان لا يمثلها، لتثبيت أركان سلطته على هذا الأساس.

في مثل هذه الظروف بطابعها السياسي والعسكري والأخلاقي قد يستطيع الرئيس اليمني إنهاء التمرد الحوثي، مثلما فعل صدام، لكن سيكون من الصعب على سلطاته استئصال جذور هذا التمرد وتفاعلاته التي لا يمكن أن ينهيها سوى منظومة اجراءات سياسية وثقافية واجتماعية، تضمن للجميع عدالة التمتع بالحقوق والحريات، ومن الواضح أن هذا النظام غير مهياً لإنجازها، برغم الحاجة الشديدة إليها في اليمن الذي لم يعد سعيداً.

هذا الخبر من موقع جريدة المدى

<http://www.almadapaper.com>